

استدعاء شخصية الإمام الحسين عليه السلام في الشعر المسيحي المعاصر

محمود شكيب أنصاري^١، محمود آبدانان مهديزاده^٢، محمّد حسن نژاد^{٣*}

١. أستاذ، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد جمران، أهواز
٢. أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد جمران، أهواز
٣. طالب دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد جمران، أهواز

(تاريخ الاستلام: ٢٢/١٠/٢٠١٦؛ تاريخ القبول: ١١/٣/٢٠١٧)

الملخص

إنّ ظاهرة توظيف التراث تعتبر من أبرز التقنيات في الشعر العربي المعاصر في الربط بين الحاضر والماضي، فقد أدرك الشاعر المعاصر أنّه باستخدام التراث قد وصل إلى معين لا ينضب، ويعدّ استدعاء الشخصيات التراثية من ظواهر هذه التقنية، فمن أهمّ الشخصيات التراثية التي تأثّر بها الشاعر العربي المعاصر وقام بتوظيفها، هي شخصية الإمام الحسين بن علي عليه السلام بما أنّ هذه الشخصية تحمل من إحياءات وأبعاد وجوانب مختلفة في إثراء النصّ الشعري وتميمته. وفي هذا المجال إنّ الشعر الحسيني واستدعاء شخصية الإمام الحسين عليه السلام لا يختصّ بالأدباء المسلمين إذ نرى الكثير من أدباء الديانات الأخرى كالأدباء المسيحيين اهتموا بشخصية الإمام الحسين عليه السلام وقاموا بتوظيف هذه الشخصية كرمز للشهادة والتضحية من أجل العقيدة والدين، والوقوف في وجه الجبروت، كما حملت هذه الشخصية معاني وإحياءات رمزية جديدة تربط الحاضر بالماضي وتصور معاناة هذا العصر. فتسعى من وراء هذا المقال الإجابة على أسئلة البحث التي تدور حول تأثر الشعراء المسيحيين بشخصية الإمام الحسين عليه السلام وكيفية توظيفها ودلالاتها والعوامل التي أدت إلى هذا التوظيف. فالمنهج المتبع في هذا البحث هو دراسة أشعار الشعراء بشكل تحليلي-وصفي وذكر النماذج الشعرية وتحليلها. واعتمدنا في هذا البحث على دواوين الشعراء: جوزيف الهاشم، وريمون قسيس، وجورج شكور، وجوزيف حرب، وجورج زكي الحاج. وفي الختام استخلصنا من هذا البحث أنّ الشاعر المسيحي المعاصر قد فتش بشخصية الحسين بن علي عليه السلام، وقام بتوظيفها بأشكال مختلفة وأبدع في توظيفها؛ لأنّه وجد في توظيف شخصية الإمام الحسين عليه السلام الملاذ الآمن، والطاقة الكامنة ليعبر بها عما يعانيه الشعب من الويل والإخفاق، وأن يدافع عن متطلبات الشعب في العصر الراهن.

الكلمات الرئيسية

الشعر المسيحي المعاصر، الحسين بن علي عليه السلام، التراث، الرمز، جوزيف حرب، جورج شكور.

مقدمة

لقد شهد الشعر العربي المعاصر بجانب الحداثة التي تعيشها الحالة الأدبية، تياراً في توظيف التراث، ولقد أدرك الشاعر العربي المعاصر أن التراث من مصادر خصبة لا يستغنى عنه وبإمكانه أن يستغله ويستقي منه. وذلك «لما يرتبط به من أحداث مهمة ومواقف معهودة، فقد أصبح استدعاؤه أمراً يثري المضمون الشعري، ويكشف الكثير من المعاني التي يصعب الحديث عنها بطريقة مباشرة» (أبو علي، ١٩٩٩: ٢٠١-٢٠٢).

وللتراث وظيفة أساسية في تجلية الهوية الحضارية للأمة، وتأكيد ذاتها وحماية هذه الذات من الذوبان والانكسار، باعتبار أن التراث يتسع لمجموعة الرؤى والأفكار والخبرات والإبداعات مما أنتجته الأمة في طول تجاربها الحياتية الشاقة في حالات الانتصار والهزيمة، وفي حالات الإزدهار والركود، وفي حالان الزمن المتحرك المحيط بجميع فعاليات الأمة ومكتسباتها. (فائزي، ٢٠١١: موقع المثقف)

وأما حول الأسباب التي دعت الشاعر العربي المعاصر إلى توظيف الشخصيات التراثية في شعرهم هي اشتداد الطغيان والقهر السياسي والاجتماعي الخانق الذي مرّت به الأمة العربية، حيث وُدت فيه كلّ الحريات، وفرض على أصحاب الرأي من الصمت الثقيل كانت أية محاولة لتجاوزه تكلف صاحبها حياته. (عشري زايد، ١٩٩٧: ٢٢-٢٣)

فلهذا لجأ الشاعر العربي المعاصر إلى التراث والرموز التراثية ليعبر من خلالها عن حاضره المعتم بالظلم والقهر والفقر دون أن يتعرض بشيء من بطش السلطة ويستلهم التجارب من الماضي وصولاً إلى الحلول المناسبة لقضايا يعاني منها المجتمع بكل تجلياته.

ومن أنواع التراث الذي عمد إليه الشاعر المعاصر وقام بتوظيفه في بنية القصيدة هو التراث الديني. لا غرو أن الموروث الديني هو أكثر توظيفاً من قبل الشعراء المعاصرين بما يحمل من دلالات وإشارات في إثراء وتنمية القدرة الإيحائية للقصيدة. ومن التراث الديني أكثر توظيفاً في الأدب المعاصر هو واقعة الطّف، «إن واقعة الطّف قد ألهمت الشاعر والعواطف وخلفت في قلب الأديب أثراً لاتزال نتيجته تظهر في الأدب، فعند مراجعة التراث الأدبي نثراً وشعراً نجد الكثير من المؤلفات والقصائد التي عنيت بهذه المناسبة لا يمكن إحصاؤها» (نورالدين، ١٩٨٨: ٧٩ و٨٨).

إنّ توظيف وإستدعاء التراث الديني الإسلاميّ وخاصّة الشيعة في الأدب العربي لا يختصّ بأدباء المسلمين بل قد يكون خالقه غير مسلم. لأنّ حبّ أهل البيت عليهم السلام هو حبّ الإيمان والكمال والقيم الإنسانيّة السامية (سيّاحي، ١٣٨٢ش: ٢١). ومن هذه الإتجاهات في عصرنا الراهن هي النزعة النصرانيّة أو المسيحيّة التي تكاد تكون نزعة مستقلّة في الأدب العربي.

فمن الأدباء المسيحيين الذين قاموا بتوظيف الشخصيات الدينيّة الإسلاميّة في أشعارهم: جوزيف الهاشم، وريمون قسيس، وجورج شكور، وجوزيف حرب، وجورج زكي الحاج، الذين لهم السهم الأكبر في تكريس أدبهم للدفاع عن واقعة كربلاء في أرض الطيف واستدعاء شخصياتها الدينيّة وتحديثها في أدبهم عن فضائل الإمام الحسين عليه السلام حيث غدا حبّ الحسين الشهيد جزءاً من نفثات ضمائرهم.

يهدف المقال إلى تبين وتحليل شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام في الشعر المسيحي المعاصر والكشف عن الدلالات والإيحاءات الكامنة في هذه الشخصيّة التي جعلت الشاعر المسيحي أن يقوم بتوظيفها واستدعاءها بأشكالها المختلفة.

أسئلة البحث

١. ما هو التراث، وما مدى أهميته ووظيفته في الشعر العربي المعاصر؟
٢. ما هي دلالات شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام والإيحاءات المستوظفة في الشعر المسيحي المعاصر؟

فرضيات البحث

١. لقد تناول الأدب المعاصر ظاهرة توظيف الشخصيات التراثية وكان لهذا التوظيف أسباب عدّة فمنها السياسي، والاجتماعي، والقومي و... .
٢. من خلال دراسة الشعر المسيحي المعاصر يتبيّن مدى تأثر الشاعر المسيحي بشخصيّة الحسين بن علي عليه السلام. حيث تحتل هذه الشخصيّة المكانة الأولى من حيث التوظيف والاستدعاء في الشعر المسيحي المعاصر.
٣. من الأسباب التي دعت الشاعر المسيحي المعاصر إلى توظيف شخصيّة الحسين بن علي عليه السلام: حبّ الحسين عليه السلام، وطريقته المثاليّة، واستشهاده من أجل الدين ووقوفه أمام الظلم والإضطهاد و... .

٤. قد وظّف الشاعر المسيحي المعاصر شخصية الإمام الحسين عليه السلام بأشكال مختلفة ولعدة أسباب منها: جمال القصيدة وإثراءها، والتعبير عن معاناة العصر والربط بين الحاضر والماضي، ومعالجة إرهابات العصر، وتوعية الشعب وإحياء الإنتفاضة والمقاومة و... .

خلفية البحث

هناك دراسات عدّة تناولت شخصية الإمام الحسين عليه السلام منها: كتاب بعنوان «الإمام الحسين بن علي عليه السلام في الشعر العراقي الحديث» للكاتب علي حسين يوسف، وكتاب بعنوان «امام حسين در شعر معاصر عربي» للكاتبة أنيسة خزعلي؛ ومقال بهذا العنوان «دراسة نقدية لقصيدة مشعل الثورتين للشاعر جوزف هاشم شكلاً ومضموناً» للباحث تورج زيني وند. وتطرّق في هذا المقال إلى موضوع استدعاء شخصية الإمام الحسين عليه السلام في الشعر المسيحي المعاصر ونحاول أن نقوم بدراسة ظاهرة توظيف شخصية الإمام الحسين عليه السلام عبر عملية النقد والتحليل، ونركز على جوانب من شخصية الإمام الحسين عليه السلام التي اعتنى بها الشاعر المسيحي المعاصر وقام بتوظيفها.

استدعاء التراث، أهميته ووظيفته في الشعر العربي المعاصر

قبل أن نتطرّق إلى موضوع استدعاء التراث، وأهميته ووظيفته في الشعر العربي المعاصر، يجب أن نتعرّف على "التراث" لغة واصطلاحاً. فالتراث في اللغة: «هو الورث والإرث والميراث وأصل التاء في التراث "الواو"، ويقال: ورثت فلاناً ملاً أرثه ورثاً وورثاً إذا مات مؤرثك، فصار ميراثه لك. وأورث الميت وارثه ماله أي تركه له» (ابن منظور، ١٩٩٩: مادة ورث).

والتراث اصطلاحاً: «ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب وخبرات وفنون وعلوم في شعب من الشعوب، وهو جزء أساس من قوامه الاجتماعي والإنساني والسياسي والتاريخي والخلفيوثق علاقته بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث واغنائته» (جبور، ١٩٧٩: ٦٣). والتراث كلّ ما ورثناه تاريخياً من زمن الماضي، وقد اختلف الباحثون في تحديد الزمن الماضي الذي ينتمي إليه التراث فمنهم من يعتقد أن التراث كلّ ما وصل إلينا من الماضي البعيد (وتار، ٢٠٠٢: ص١٩). ومنهم من يعتقد أن التراث هو ما وصل إلينا من الماضي البعيد والقريب. (الجابري، ١٩٩١: ٤٥)

إنّ للموروث العلميّ والأدبيّ والدينيّ والتاريخيّ أهميّة كبيرة في نتاج الشعراء المعاصرين حيث أصبحت القصيدة العربية تتغنى بالتراث وأصبح جمال القصيدة يتوقف على قدرة استدعاءها وتوظيفها للتراث، لأنّ الموروث «يعدّ منبعاً من منابع الإلهام الشعريّ الذي يعكس الشاعر من خلال الإرتداد إليه روح العصر، ويعيد بناء الماضي وفق رؤية إنسانيّة معاصرة تكشف عن هموم الإنسان ومعاناته وطموحاته وأحلامه، وهذا يعني أنّ الماضي يعيش في الحاضر ويرتبط بعلاقة جدليّة تعتمد على التأثير والتأثر» (نمر، ٢٠٠٥: ١١٧).

ويعبّر التراث عن الأمة وهويتها، بل هو خير معبر عنها، لأنّه جزء منها، وهكذا كلّ تراث هو جزء من الأمة، التي أنجزته، فلا يمكن أن تؤسس أيّة أمة نهضتها على تراث آخر غير تراثها؛ لأنّ التراث يختزن إمكانات النهوض والإبداع في حياة الأمة، وهو زادهما التاريخي، ولا تتحقق المنعطفات الكبرى والنهضات في حياة الأمم من دون زادهما التاريخي، فالنهضة يحتضنها تراث الأمة ويغنيها، وتصبح فيما بعد أحد مكتسبات الأمة في حركتها التاريخية والأدبية، مثلما كان التراث ذاته من أبرز هذه المكتسبات، وبعد أن يزحف التاريخ إلى الأمام ويستوعب منجزات النهضة في زمان لاحق، تندمج هذه المنجزات بالتراث، وتتحد معه في مركب حضاري واحد، فيضمّ التراث عندئذ تماماً لتجليّات والإبداعات والمكتسبات المتنوعة للأمة في أزمنتها الماضية. فالتراث ليس أمراً ساكناً ميتاً أفرزته هزائم الأمة وإنكساراتها التاريخية وإنما هو تلك الحيوية والفعاليّة المتدفقة في وجدان الأمة. (القحطاني، دون تا: ١٨-١٩، بتصرّف)

وإنّ «عناصر التراث ومعطياته لها القدرة على الإيحاء بمشاعر وأحاسيس لا تنفذ، حيث تعيش هذه المعطيات في وجدان النّاس وأعماقهم، تحفّ بها هالة من القداسة والإكبار، لأنّها تمثّل الجذور الأساسيّة لتكوينهم الفكري والوجداني والنفسي ... لذا فإنّ استخدام الرموز التراثية يضي على العمل الأدبي/الشعري عراقةً وإصالةً، ويمثّل نوعاً من امتداد الماضي في الحاضر، وتغلل جذور الحاضر في تربة الماضي الخصبة المعطاء، كما أنّه يمنح الرؤية الشعرية نوعاً من الشمول والكلية حيث يجعلها تتخطّى حدود الزمان والمكان، ويتعانق في إطارهما الماضي مع الحاضر» (السلطان، يناير ٢٠١٠: ٣٦-١).

توظيف التراث في الشعر العربي المعاصر يعني «استخدامه تعبيرياً لحمل بُعد من أبعاد تجربة الشاعر يعبر من خلاله - أو يعبر به - عن رؤياه المعاصرة» (عشري زايد، ١٩٩٧م: ١٣). أمّا العومل التي أدّت إلى توظيف التراث في الشعر العربي المعاصر ودعت الشاعر المعاصر إلى استدعاءه فإنّها تتمحور في عدّة محاور:

- العوامل الفنية: تتمثل في إحساس الشاعر بالطاقة التي يكمنها التراث، ويستطيع الشاعر أن يعبر بها عن همومه وقضاياها من خلال الإيحاء والتأثير لأن المعطيات التراثية أكثر لصوقاً بوجودان المجتمع وأكثر تأثيراً عليه.
- العوامل الثقافية: لقد استطاع الشاعر من خلال هذه العوامل أن يقوم باستدعاء التراث، وأن ينتقل من «التعبير عن الموروث» إلى مرحلة «التعبير به» (عشري زايد، ١٩٩٧م: ٢٤).
- العوامل السياسية والاجتماعية: لقد وجد الشاعر نفسه ومجتمعه في حالة من الطغيان والقهر السياسي والاجتماعي، فرأى في التراث، القناع والمكان الآمن لنقد هذه الظروف، وأن يعبر بواسطته آرائه وأفكاره بطريقة فنية غير مباشرة، فاتخذ من التراث وسيلة للتعبير عن معاناة الشعب وآلامه ولعل الواقع السياسي والاجتماعي هو أول من دفع الشاعر العربي المعاصر في تبريره بلجوئه إلى التراث.
- العوامل القومية: إن التراث من تلك الجذور التي تركز عليه أي أمة من التاريخ، لأنه يمنح الإحساس بالقوة، والثقة بالنفس والأصالة والعراقة، فلجأ إليه الشاعر العربي المعاصر من أجل إحياء أمته بما يحوي التراث من قوة في مواجهة العواصف التي تضعف الأمة وتاريخها وكيانها.
- العوامل النفسية: إن حالة التدهور النفسي التي يعاني منها الشاعر العربي المعاصر من زيف وقمع وغربة نفسية تدفعه إلى التطلع لعالم أرقى وأكثر نضارة وبكارة، ولا يجد ذلك إلا بين أحضان التراث. (عشري زايد، ١٩٩٧م: ٥٤)
- إن استدعاء الشاعر العربي المعاصر للموروث الديني لا يعني نقله كما هو، وإنما عليه أن يستخدمه «استخداماً فنياً إيحائياً، وتوظيفه رمزياً لحمل الأبعاد المعاصرة للرؤية الشعرية، بحيث يسقط على معطيات التراث ملامح معاناته الخاصة، فتصبح هذه المعطيات، معطيات تراثية معاصرة» (حداد، ١٩٨٦: ٨٠).
- فلهذا انكب الشاعر العربي المعاصر على التراث ونظر إليه نظرة جديدة تختلف عن نظرة السابقين له، بعد أن كان الشاعر يتعامل مع التراث باعتباره جزءاً من الماضي فقط لا يمكن تحويره، أصبح الشاعر المعاصر «يرى في هذا التراث امكانات تجدد لا تنفذ، تحيي وتخلد بالاختيار الدائم بينها، بالإضافة الدائمة إليها، وتبني ما يلائم تجربة كل شاعر منها» (حداد، ١٩٨٦: ٨٠).

استدعاء شخصية الإمام الحسين عليه السلام في الشعر المسيحي المعاصر

إنّ للموروث الديني الإسلامي الذي يعدّ مصدراً خصباً لإثراء النصوص الأدبيّة، حظاً أوفر ضمن المصادر التراثية الأخرى، ومن الموروث الديني الإسلامي هي الشخصيات الدينيّة التي فتن بها الشعراء.

وأبرز من فتن شعراؤنا شخصية الإمام الحسين عليه السلام وتكاد تكون أكثر شخصيات الموروث الديني شيوعاً في عصرنا الحاضر التي دخلت في الأدب العربي بل الأدب العالمي بأكمله. فقد رأى شعراؤنا في الحسين عليه السلام المثل الفذّ لصاحب القضية النبيلة الذي يعرف سلفاً أنّ معركته مع قوى الباطل أدت إلى إستشهاده وإستشهاد أصحابه، ولكن لم يمنعه ذلك من أن يبذل دمه الظهور في سبيلها، موقناً أنّ هذا الدم هو الذي سيحقّق لقضية الإنتصار والخلود، وأنّ في إستشهاده إنتصاراً له ولقضيته. (عبّاس، ١٩٧٨: ١٦١)

ويأخذ الحسين عليه السلام موقعاً متميّزاً في مسيرة الشهادة من وجهتي نظر الدينيّة والفنيّة، وتحضر كربلاء رمزاً للأسى والجراح والحزن والندم، وفي مأساة الحسين عليه السلام بوصفها من المآسي الكبرى تقع كما يقول الكاتب والناقد المسيحيّ المعاصر جبرا إبراهيم جبرا: «أنواع شتّى من مآسي الإنسان في جوّ القَيْظِ والعطش والقتل الجماعي وحزّ الرؤوس، هناك مأساة الجنون البشريّ، ومأساة الخيانة، ومأساة القتل المجاني، وكذلك مأساة المروءة والفضيلة. الحسين أكبر من الحياة، ولعلّه لكبره وعلوّه خارج الدائرة التي يمكن للمرء ضمنها أن يتوحد مع البطل رغم تطلّعه إليه ولذا يكون التعبير الفنّي عنه قاصراً على مداه الفاعل» (إبراهيم جبرا، ٢٠٠٠: ٣٠).

فإنّ التاريخ قد شهد العديد من الوقعات والمعارك الطاحنة كان مصيرها إمّا خيبة وإمّا انتصاراً، كما شهد أبطالها ونضالها ولكن التاريخ لم يسجّل قطّ واقعة تشبه واقعة كربلاء، إن واقعة الطّفّ تتميّز بوسع تاريخها لأنّها ثبتت على المبادئ والقيم الإنسانيّة السامية، تلك الواقعة التي أدّت إلى استشهاد جميع أصحابها ولكن كان مصيرها الانتصار فلماذا أصبح الإمام الحسين عليه السلام رمزاً للجهاد والتضحية.

ولاغرو أنّ خطى الحسين عليه السلام الطاهرة مطرّزة بالدم، ورجولته وكبريائه تدعو المرء إلى الإباء والصمود بوجه الظلم والإضطهاد، والإقتداء بفرح الشهادة الحاملة طريق الهداية. إنّ لإستشهاد الإمام عليه السلام رسالة عظيمة تستمرّ على مدى التاريخ، وهذه الرسالة هي إحياء

الدين. إنَّ الحسين عليه السلام هو القَتيل في سبيل الله، والإيمان والعقيدة والإسلام، وهو الشهيد الذي ترك من نثير طلعه الغراء على أرض البطولة، قدرةً بحجم المستحيل. ويستلهم وقفة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء وقوة صموده وصلابته وصبره وتحوُّله إلى قيمة مطلقة للشهادة في سبيل المبادئ والحق، هذه القيمة التي تثبت بالاستشهاد والدم.

فإنَّ الحسين عليه السلام قد ألهب المشاعر والضمائر البشرية حيث نرى أثره ملحوظاً في أعمال الأدباء من الشعر والنثر على مدى العصور. وللحسين عليه السلام في مجال الشعر صدىً خاصاً إذ نرى « شعراء الشيعة قد أنشأوا في هذا المقصد، بأية لغة تكلموا من عربيّة أو فارسيّة، أعمالاً شعريّة تتجاوز في حجمها ما انشأوه في المقاصد الأخرى » (شمس الدين: ١٩٩٦: ١٣٦) وقاموا بتوظيف التراث الدينيّ الحسينيّ بأشكاله المختلفة « ما عرفت البشريّة جمعاء عظيماً من أبنائها قيل فيه الشعر ما قيل في الحسين بن علي عليه السلام ، ولو تصدّى متبّع للمقارنة بين ما نظم فيه ونظم في عظماء الدنيا لتعادلت الكفتان أو رجحت كفة الحسين » (شبر، ٢٠٠١: ج ١٠/١-١١).

ولكن لا يختصّ هذا الأمر بالشعراء المسلمين بل اعتنى الشعراء المسيحيّون أيضاً بالشخصيّات الإسلاميّة في عصرنا الراهن، ولاسيّما شخصيّة الحسين عليه السلام التي لها الدور الأكبر في نتاجهم الأدبي. « فمن الشعراء المسيحيين من تعاطف مع استشهاد الحسين عليه السلام ، لكونه أعظم فداء وأرقى شهادة، فأحبه حباً كبيراً، ثمّ بنور الحسين عليه السلام اهتدى إلى علي عليه السلام فوجد فيه آمال البشرية كلّها، وقد ساقه الحبّ هذا، إلى معرفة النبي صلى الله عليه وآله » (حكمت نيا وخاقاني، ١٣٩٣: ٢٢١). وقد أقبلوا على الإشادة والإحتفاء بشخصيّة الإمام الحسين عليه السلام واعتبروها رمزاً للتعبير عن القيم والاتجاهات النضالية. وقاموا بتوظيفها لإستهضاض همم الشعوب الإسلاميّة ضدّ الظلم والإعتداء وضدّ إرادة المحتلّين. والوقوف بوجه قوى الشرّ والظلم وتحملّ أعباء المتابعة، لكي لا يخذل الحقّ والحقيقة، والإشادة بالإمام الحسين عليه السلام بكونه عاملاً لإيقاظ الشعوب المهضومة ومعياراً لتمييز الحق عن الباطل. الحسين عليه السلام رمز للثورة على الظلم والطاغوت وهو الدم الجاري في عروق المسلمين بل البشريّة جمعاء.

فأشعار الشعراء المسيحيّين في عصرنا الراهن تمثلت فيها حقيقة كربلاء وأضافت إلى تراث البشر أبهى المعاني الإنسانيّة التي تخلد على مرّ الزمان. كما أضفى الأديب المسيحيّ لوناً جديداً على الأدب الدينيّ وقد كانت هذه المحاولات مركّزة على الشخصيّات الإسلاميّة. وتأثر الشاعر المسيحي المعاصر بشخصيّة الإمام الحسين عليه السلام كرمز للجهد والتضحية فقام

بتوظيفها بغية تغيير المجتمع واصلاحه وهذا ما يحتاجه العالم العربي والإسلامي في ظلّ معاناة القهر والحرمان والفقر والفساد القابع في جميع أرجائه.

لا غرو أن الحسين عليه السلام أنقذ أمة الإسلام باستشهاده تلك الأمة التي كادت تغرق في فساد حكامها الأمويين وكادت تتعد عن مبادئها وقيمها ولهذا أصبحت شخصية الإمام الحسين عليه السلام قدوة في جميع العصور لجميع الثورات والنهضات البشرية النبيلة لأنه رسم بدمائه الطاهرة طريقاً لكل من أراد العزة والحرية والإباء. إن الحسين عليه السلام جاهد ليحق الحق ويبطل الباطل وقد منح البشرية حريتها التي سلبت منها ظلماً والتي جاء الإسلام من أجلها.

فقد أدرك الشعراء المسيحيون هذا الأمر فاتخذوا من شخصية الإمام الحسين عليه السلام رمزاً للدفاع عن متطلبات أبناء شعبهم في العصر الراهن. وقدّموا من تلك المأساة التي وقعت على أرض الطف صورة واضحة مثالية تتجسم فيها القيم الإنسانية السامية التي بذلت من أجل إحياء الأمة وإبقاء المبادئ والعقائد.

ولأدباء المسيحيين كالشاعر المحميّ جورج شكور، وجوزيف الهاشم، وجوزيف حرب، وجورج زكي الحاج، وريمون قسيس دور رائد وفعل في هذا الأمر. قد تناول هؤلاء الشعراء في قصائدهم جوانب عظيمة لشخصية الإمام الحسين عليه السلام وقد أدرجوا في الحسين عليه السلام مآسي فاجعة كربلاء وأبعاد حركة الحسين عليه السلام، ولهذا الأمر أسباب منها:

١. حبّ أهل البيت عليهم السلام وخاصة حبّ الحسين عليه السلام؛

٢. شخصية الإمام الحسين عليه السلام العبقريّة وطريقته المثاليّة؛

٣. استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطفّ من أجل الدين؛

٤. الحسين عليه السلام رمز المقاومة والانتفاضة والصمود أمام الظلم والاضطهاد؛

٥. الحسين عليه السلام رمز الجهاد من أجل العزة والحرية؛

فهذه الأسباب كانت ممّا دفعت الشاعر المسيحيّ المعاصر أن يتخذ الإمام الحسين عليه السلام وشخصيته وطريقته موضوعاً يعالجه في شعره، ويساهم مآسي المجتمع العربيّ وما يعاني منه الوجدان البشريّ.

حيث قام الشاعر المسيحيّ المعاصر بتوظيف شخصية الحسين عليه السلام للربط بين الحدث الحسيني والحدث المعاصر والتعبير عن المحنة المعاصرة، ولعلاج مشكلات العصر ومظالمها،

واستدعاءها في الأحداث السياسية والاجتماعية بطريقة استنهاضية مباشرة بغية اصلاحها وتغيير ظروف الأمة وانقاذها وسوقها إلى الهدف الذي ثار من أجله الإمام الحسين عليه السلام وهو تعزيز دين الإسلام في واقع حياة الأمة، وتوجيه الأمة نحو المسار الذي سلكه الحسين عليه السلام وهو مسار نحو مقارعة الظالمين حتى الاستشهاد.

لقد استلهم الشاعر المسيحي المعاصر "جوزيف الهاشم" شخصية الحسين عليه السلام بأن الإمام باستشهاده قد حقق مصير الإسلام لجميع الناس من العرب والعجم على مدى العصور، فالإمام عليه السلام أحيا الدين وبيده راية الإسلام؛

نَهَوَكَ عَنْهَا، فَلَمْ تَحْفَلْ، فَخُضْتَ بِهَا وَيَفِي يَدَيْكَ مَصِيرُ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ
يَدٌ حَوَتْ رَايَةَ الْإِسْلَامِ، حِينَ يَدُ تَزْفُ لِلْعَالَمِينَ النَّصْرَ بِالْعَلَمِ

(الهاشم، ١٩٩٩: ٦٥)

يصور الشاعر في هذين البيتين ثورة الحسين عليه السلام، بأنها انتصرت و بانتصار هذه الثورة انتصر جميع العالم حيث أصبحت الثورات التحررية من بعدها والتي كانت من أجل الدين والقيم الإنسانية أخذت تنتصر مستلهمة قيمها ومبادئها من الثورة الحسينية.

إن ثورة الحسين عليه السلام لم تكن إلا استمراراً لحركة الأنبياء المرسلين، واستشهاد الإمام عليه السلام في واقعة الطف فهو في الواقع سجل انتصاراً عظيماً للإسلام؛ فهذا الانتصار فازت وانتصرت

جميع ثورات الأنبياء، واسترجعت أمة الإسلام عظمتها التي كانت عليها في صدر الإسلام؛
عَمِ يَا حُسَيْنُ، فَأَنْتَ اخْتَرْتَ جُلُجَةً إِلَّا النَّبِيُّونَ مَا فَازُوا بِذَا الْحُمِّ
وَفُزْتَ أَنْتَ، وَرَبُّ الْكَعْبَةِ انْتَصَرْتَ أَشْيَاعٌ مُنْتَصِرٍ بِاللَّهِ، مُعْتَصِمِ
وَلَأَلَّاتُ أُمَّةٍ، وَاسْتَرْجَعَتْ عَظْمًا مِنْ سَأَلَفِ الْعَهْدِ، أَوْ مِنْ سُدُودِ الْعَظْمِ
وَقَامَ دِينُ نَبِيِّ اللَّهِ بَعْدَ وَنَى بَغَيْرِ أَنْفُسِ أَهْلِ الْبَيْتِ لَمْ يَقُمْ

(الهاشم، ١٩٩٩: ٦٣)

يعتقد الشاعر أن الإمام الحسين عليه السلام بثورته قد سجل انتصاراً لجميع ثورات الأنبياء التي لم تشهد الفوز والانتصار، ويستحضر الشاعر في البيت الثاني قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عند استشهاده في محراب المسجد عند ما قال: «فُزْتُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ». ليشير أن استشهاد الإمام الحسين عليه السلام كاستشهاد أبيه كان من أجل الدين وإحياءه وقد فاز الإمام عليه السلام باستشهاد.

إنّ الحسين عليه السلام حمل راية الإسلام من أجل هداية البشر، وثورته لم تكن إلاّ لهدف مقدّس وهو إصلاح أمة رسول الله صلى الله عليه وآله؛ يقول الشاعر ريمون قسيس:

يَا حَفِيدَ النَّبِيِّ قَدْ جِئْتَ تَعْلِي رَايَةً تُرْتَجَى لِعُربٍ وَقُفُرسِ
... هُوَ سَبِطٌ مُطَهَّرٌ كَعَلِيٍّ هَاشِمِيٍّ وَأَمْرُهُ لَا لِرِجْسِ

(قسيس، ٢٠١١: ٢٤-٢٥)

إنّ الحسين عليه السلام كوالده الإمام علي عليه السلام وُجد في الأمة ليتلو إيمانها، ويرفع لواء الدين النبوي، فثبت حقيقة الدين، وضحى بدمه وروحه من أجلها.

ويخاطب الشاعر الملحمي "جورج شكور" الضمائر البشرية لافتاً إلى أنّ الإمام قدّم حياته وأفدى بها بسخاء للعشق الإلهي، معتبراً أنّ الذين شاركوا وشايعوا في قتله حرّموا من عطر نسيم الحسين عليه السلام؛

دَمُ الْحُسَيْنِ سَخِيٌّ فِي شَهَادَتِهِمَا ضَاعَ هَدِيراً بِهِ لِلْهُدَى أَنْوَارُ
وَلِلشَّهَادَةِ طَعْمٌ لَمْ يَذِقه سِوَى الشَّمِّ مِمَّ الْأَوْلَى أَقْسَمُوا إِنْ يَظْلَمُوا ثَارُوا

(شكور، ١٣٨٣ش: ٢٠٩)

يعتقد الشاعر أنّ الحسين عليه السلام قد أعطى بفيض من الصدق في الشهادة، وهو حمل أعباء القضية الكبرى في اعتلاء الدين، والأعباء تلك لم تكن سهلة، وليست يسيرة، إنّها بكبر التراث والأمني وبكبر محبة الإنسان لله.

ويرى الشاعر "جوزيف الهاشم" أنّ رأس الإمام الحسين عليه السلام الذي قد حُمل على الأستة والرّماح هو رمز للمجد والشموخ والعزّة وبه ارتفعت أركان دين الإسلام، والقيم الدينيّة؛ فيقول:

بِرَأْسِهِ ارْتَفَعَتْ أَرْكَانُ أُمَّتِهِ وَزَجَّ رَأْسُ بَنِي سُفْيَانَ بِالْوَحْمِ

(الهاشم، ١٩٩٩: ٦١)

قد أراد الإمام الحسين عليه السلام من إستشهاده في معركة كربلاء الذي كان من لدن الخالق، أن يترك للأجيال والأمم جمعاء أن تنغم بضراوة النضال وقداسة المواقف وغنائم الشهادة ليثبت بها دين الله. فيقول "ريمون قسيس":

وَلَقَدْ عِشَّتْ لِلرَّمَّاحِ الْعَوَالِي فِي سَبِيلِ الْإِلَهِ يُفْدي بِنَفْسِ

(قسيس، ٢٠١١: ٢٤)

هكذا قدّم الحسين عليه السلام للأمم رسالته ببذل الحياة، ورسم خطأً جديداً بدمائه، لتعرف مصيرها في مواجهة الأعداء والظالمين؛

قَتَلُ نَفْسٍ مِنْ أَجْلِ رَبِّ قَدِيرٍ هُوَ أَمْرٌ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ وَهَجَسٍ

(قسيس، ٢٠١١: ٢٦)

فالحسين عليه السلام بذل نفسه فدى للإسلام، وقد خطّ للناس أمثلة كربلائية تمكن عظمة الشهادة، إن الذي وقع في كربلاء بعد الخديعة، أكد نصره في الشهادة.

إنّ الحسين عليه السلام قد جمع خصال الأنبياء في وجوده فهو أكبر شأنًا في السماء وهو النور الذي يهتدى به، هو حياة الأجيال في الماضي والمستقبل، وهو نفس الوجود؛

فَهُوَ قُلٌّ: فِي السَّمَاءِ أَكْبَرُ شَأْنًا نُورٌ هَدْيٍ وَطَيْبٌ عَرَفٌ وَأَنْسٍ

هِيَ «حَاءٌ» حَيَاةٌ جِيلٍ لَجِيلٍ وَهِيَ «سَيْنٌ» وَالسَّيْنُ ثَالِثُ «نَفْسٍ»

هِيَ «يَاءٌ» وَ«الْيَاءُ» «يَحْيَى» أَحْتَوَاهَا مَرَّتَيْنِ اثْنَتَيْنِ مِنْ خَيْرِ جِرْسٍ

وَهِيَ «نُونٌ» وَسُورَةٌ ذَكَرُ «نُونٌ» ذَكَرُ رَبِّ لِصَاحِبِ الْحُوتِ يَمْسِي

(قسيس، ٢٠١١: ٣٠)

لقد قام الشاعر في هذه الأبيات بتوظيف شخصية الإمام الحسين عليه السلام بأنه حياة الأجيال وأن طريقه طريق الأنبياء والمرسلين.

ويشير "ريمون قسيس" في ملحتمته إلى عزم كربلائي ما تضاعف إزاء قدرات مجتمعة وشدة كبيرة، فبقي الحسين عليه السلام البطل القادر في معركة تفوق حجم المعارك على أرض كربلاء، فيقول:

يَا بَنِي هَاشِمٍ وَصَفْوَةَ قَوْمٍ مِنْ قُرَيْشٍ (حُسَيْنُكُمْ) هُوَ مُرْسِي^١

(قسيس، ٢٠١١: ٢٩)

إنّ الحسين عليه السلام رمز التحرر، وشهر السيف على الباطل بوجه الأعداء والظالمين دون أن يبالي بالسيوف والرماح أو أن يهاب عشرات الآلاف؛

شَهْرَ السَّيْفِ لَا يَهَابُ الْأَعَادِي لِأَيُّبَالِي بِأَيِّ رُمْحٍ وَقَوْسٍ

(قسيس، ٢٠١١: ٢٦)

ولجورج زكي الحاج الشاعر المسيحي المعاصر قصيدة بهذا العنوان «يابن الكرام»، بيداً الشاعر القصيدة بإكرام وإجلال لسيد الشهداء، ويروي رواية معاصرة من الجهاد والاستشهاد؛

١. مُرْسِي: ثابت.

يا ابن الكرام، دروب الظلم حالكه // فالشوك يملأها، والوحل والمدر //
والرب علمنا: أن الهدى كلم // تبقى دهوراً، وكل الكون يندثر // فالحقد إن
صال، عطر الورد يدحره // والبغض إن طال، باسم الحب ينكسر // ونصرة
الحق، أعلى من ذرى قيم // أسمى البطولات باسم الحق تختصر // إيه حسين،
وذكراك التي حُفرت // في القلب، في البال، آيات كما الذكر // تبقى القداسة
بنت الناس، يحملها // شعب أبي، ولو حكاهم مكروا // وأنت تبقى على الأيام
قاطية // رمز الفداء... وهم رمز لمن كفروا (الحاج، ٢٠٠٦: ١٣-٢٦)

ينتظر الشاعر ثورة تتسم بمبادئ ثورة الحسين عليه السلام في هذا العصر، فيستنهد إرادة
الشعوب الإسلامية ضد الكيان الصهيوني بإستدعاءه شخصية الإمام الحسين عليه السلام ويعتقد
أن هذا الشعب سيبقى صامداً في وجه قوات الاحتلال لأن الحسين عليه السلام وهو رمز التضحية
والفداء سيبقى على مر العصور.

ويستدعي الشاعر شخصية الإمام الحسين عليه السلام وأحداث كربلاء بهذه الدلالة ليعبر من
خلالها أن الإمام عليه السلام هو قدوة الشجاعة والمقاومة والصمود في وجه الطغاة والظالمين، حيث
تتمثل هذه الشخصية وينتمي إليها كل طفل فلسطيني نائر في وجه قوات الاحتلال:

كوفية من فلسطين التي ذبحت // على أيادي قلول... أينها التتر // في كل
طفل حسين صامداً أبداً // في وجه غاز - أمام الحق طفل يندحر // وفي مقلتيه
النصر مرتسم // بين الدموع، كما الأنداء والسحر // إن يمسيك التراب، يصبح
تربه ذهباً // وفي الوقيعة يغدو مدفعاً حجراً! (الحاج، ٢٠٠٦: ١٥)

وينقل الشاعر هذه الفكرة إلى المتلقي أن الطفل الفلسطيني الذي يقف في مواجهة قوى
الشر إنما يسلك طريق الحسين عليه السلام، فهو الحسين عليه السلام في براءته ووقوفه ضد الظلم
والاعتداء كما وقف الإمام في مواجهة الباطل بلا ناصر ولا معين، فالحسين عليه السلام قدوة لكل
من يقابل الظلم والاضطهاد في جميع العالم وبهذا يرسم الشاعر مدى أثر نهضة الإمام
الحسين عليه السلام في استمرار الثورات وانتصارها.

وفي موضع آخر يستدعي الشاعر أرض كربلاء بهذا المدلول أن كربلاء أرض تحمل
الأبطال والأحرار، وتحمل تلك الثورة العظيمة التي تستمر على مدى التاريخ:

ثراك يا كربلاء // في كل حبة رمل نلتقي بطلاً // أرض الكرامان لم يخمد لها

سَعْرُ // وَالْيَوْمَ يَسْقِي الثَّرَى // إِنَّ يُمْسِكِ التُّرْبَ يَصْبِحُ تُرْبُهُ ذَهَبًا // مِنْ أَرْضِ
لُبْنَانَ // رِيَا حُ الظُّلْمِ إِنَّ لَفَحَتِ أَرْضُ الْهُدَى // وَالْأَرْضُ عَادَتْ لَنَا عَاشَتْ
مقاومة // بَاتَ الْجَنُوبُ بِكُلِّ الْأَرْضِ مُعْجَزَةً // وَالرِّيْحُ تُعْرِفُ لِحَنَ الْمَوْتِ هَائِمَةً فَوْقَ
الرَّمَالِ // وَالْأَرْضُ تُهْتَفُ بِسْمِ اللَّهِ // لَمَّا هَوَى جَسَدٌ فَوْقَ الثَّرَى نَضِرُ (الحاج،
٢٠٠٦: ١٤-٢٣)

وكربلاء تدلّ على الأراضي الفلسطينية المحتلة وتدللّ على لبنان التي كانت تحت وطأة
احتلال الصهيون، وبهذا المدلول يستنهض الشاعر الشعوب ضدّ الاحتلال ويندّد الخنوع
والمساومة أمام الظلم والجور ويعتقد أنّ الانتصارات التي وقعت في لبنان وبعض أراضي
فلسطين كانت بسبب التعاليم الحسينية ونهضة الحسين عليه السلام.

ويجعل الشاعر علاقة بين الزمن الحاضر والماضي باستدعاء شخصية الحسين عليه السلام
والقدس بهذه الدلالة أنّ معاناة القدس والشعب الفلسطيني هي نفس المعاناة التي شهدتها
أرض كربلاء، وأنّ انتصار الشعب الفلسطيني لن يتحقق إلاّ من خلال التمسك بالقيم
الحسينية السامية؛

فَتَى الشَّهَادَةِ جِئْتُ الْيَوْمَ أَعْتَذِرُ // فِيكَ الشُّعْرُ يَخْتَمِرُ // مِنْكَ الْقَوْلُ فِي بَلْفَحِ
الْقُدْسِ تَأْتِرُ // حُسَيْنٌ بِيَالِ اللَّهِ تُذَكِّرُ // عَطْرُ الْأَلْوَهَةِ فِي رِيَاكِ يَنْتَشِرُ // وَالْيَوْمَ
يَسْقِي الثَّرَى حُبًّا زَكِيَّ دَمٍ // فِي وَجهِ غَازٍ أَمَامَ الْحَقِّ يَنْدَحِرُ (الحاج، ٢٠٠٦: ١٣-٢٦)

إنّ الشاعر في هذه الأبيات قد استخدم الأفعال المضارعة بكثافة وقد أراد بهذا أن ينقل
فكرة خلود الإمام وثورته وإنه سيبقى خالداً في قلوب الأبطال والأحرار.

ويستدعي "جورج شكور" من شعراء المقاومة في لبنان، في قصيدة "ملحمة الحسين عليه السلام"،
أرض كربلاء وهي رمز الشهادة ورمز مواجهة قوى الخير والشر، ويخاطبها على أنّ هناك
على مدى العصور أشرار وأخيار، وبهذا يربط الشاعر بين معاناة عصره وسلطة الأشرار
ومأساة كربلاء التي وقعت لمواجهة قوى الشر؛

يا كربلاء، أنتِ الكربُ مُبْتَلِيًّا وأنتِ جُرْحٌ على الأيام نَقَارُ؟
لا لا، وثيقةٌ حقٌّ أنتِ شاهِدَةٌ أن في الخليقة أشرارٌ وأخيارٌ
(شكور، ١٣٨٣ش: ٢١٥)

ويعتقد الشاعر أنّ الباطل هو مستمر في كلّ العصور والأزمنة، ولكن لا بدّ أن يكون هناك
من يقف في وجه الباطل، كما وقف الحسين عليه السلام مع أصحابه وقدم وضحي بنفسه وأصحابه

وأولاده، ولا بدّ للشرّ والظلم أن ينتهي يوماً وهذا ما لايقوم في عصرنا الراهن إلا على أيدي الذين جعلوا الحسين عليه السلام وطريقته قدوةً ونبراساً في حياتهم؛ فيقول:

وجولةُ البطل، إن طالَت، لها أجلٌ وَالْحَقُّ، جَوْلَتْهُ فِي الدَّهْرِ أَدهَارُ
كلُّ الزَّعاماتِ، إن شيدتْ على ظلمٍ كَالْبَطْلِ وَتت، وَصَرَحُ الظُّلمِ يَنهَارُ
(شكور، ١٣٨٣ش: ٢١٥)

وفي موضع آخر يصوّر الشاعر غربة هذا العصر وانهماك جميع العالم في الظلم والفساد حيث أصبح العالم يشتاق إلى الحسين عليه السلام، فيستدعي الشاعر شخصية الإمام عليه السلام ليعود ويواجه بكبريائه وعظمته، الشرّ والطغيان المخيم ظله على جميع العالم؛

أَقْدِم، حُسَيْنُ، حَبِيبِي، أَهْلِكَ اشْتَعَلُوا شَوْقاً إِلَيْكَ، غَدَاً لِلشَّوْقِ أَبْصَارُ
(شكور، ١٣٨٣ش، ٢١٣)

وفي نهاية قصيدة "ملحمة الحسين عليه السلام" يجعل الشاعر "جورج شكور" خطاً يربط بين الظروف التي كان يعاني منه المجتمع في زمن الحسين عليه السلام من ظلم وقهر وفساد، وظروف المعاناة والقهر والظلم والفساد في أراضي المحتلة في لبنان وفلسطين، ويعتقد الشاعر أنّ طريق الحسين عليه السلام يبقى خالداً على مرّ العصور والأزمان، فأينما وجد ظالماً مستبدّاً لا بدّ أن يكون هناك حسين يفدي بنفسه من أجل التحرير، وما زال المناضلون والأحرار في جميع أنحاء العالم ينادون قول الحسين عليه السلام إنّ الحقّ سيبقى وهو منتصر، ويستحضر الشاعر القدس ليبين أنّ طريق القدس هو الشهادة والاستشهاد؛ فيقول:

يَوْم (الحسين) هم الاحفاد انهارُ فِي الْعَالَمِينَ لَهُمْ دَفَقٌ وَتَيَّارُ
مُنْ ضِيمَ لُبْنَانَ وَاغْتَرَّ الْغُرَاةُ بِهِ كَانُوا الْفِدَاءَ وَرَدُّ الْأَرْضِ ثَوَارُ
وَرَدُّوا قَوْلَهُ وَالدهرُ رَدَّدهَا: مَا ضَاعَ حَقُّ بِهِ صَكَ وَإِقْرَارُ
الْقُدْسُ عاصِمَةٌ فِي الارضِ قائمَةٌ فِي السَّمَاءِ لَهَا بِالرُّوحِ إِمَارُ
(شكور، ١٣٨٣ش، ٢١٩)

والشاعر جوزيف حرب، الذي تربطه بالإسلام علاقة متينة وهذا ما نلاحظه من خلال تأثره بشخصية الإمام الحسين عليه السلام، في قصيدته "بكاية رأس الحسين"، فهو يقدم من الإمام الحسين عليه السلام صورة بطل عظيم تتجلى فيها دلالات القيم النفسية والحسية؛

مِنْ كَرْبَلَاءِ حَتَّى الْجَنُوبِ، الْجَنُوبِ الْمُشَبَّعِ بِهِمَا // لِأَنَّهُ مُشَبَّعٌ بِالْحُسَيْنِ، وَبِأَ
لِوَطْنِ يَلْتَقِي فِيهِ حَقًّا السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ... // وَشَهَادَاتَا الدِّينِ وَالدُّنْيَا، فَلَا يَضِيعُ

الجنوب أصحابه // لأنهم عندئذ يكونون قد رجعوا إلى حيث لم يرجع الحسين //
ويكونون قد سلمت رؤوسهم وعاشوا بيدين، ولكن لا في تلك الحق ولا في هذه الجنة
(العالمي، ١٤٢٢هـ: ٤٧)

يصور الشاعر في هذه الأبيات، الشعب اللبناني في الجنوب الذي يعاني الإحتلال والدمار
ويجعل العلاقة بين مأساة كربلاء ومأساة ومعاناة وطنه، ويستدعي شخصية الحسين عليه السلام
ليعبّر من خلالها عن الشهداء الذين قدموا أنفسهم من أجل تحرير الوطن وياتوا ضحايا
من أجل عقائدهم، ويعتقد بأن الشهداء الذين كانوا قد نهجوا طريق الحسين عليه السلام فهم قد
رجعوا إلى حيث لم يرجع الحسين ولكن ذكرهم خالد في القلوب.

ويخاطب الشاعر المسيحي المعاصر "جوزيف حرب"، أرض "كربلاء" التي وقعت فيها أكبر
مأساة وتراجيدي العالم، ويستحضر آلامها ومآسيها فهي أكبر مساحة في المرارة والحزن
وهي التي ماتت من شدة العطش على شطّ فرات، وهي التي تحرس الشهداء الذين أسرجوا
كالمصابيح الحق والحقيقة، ومن ثم يطلب الشاعر من كربلاء أن تحضّر نفسها
لمواجهة قوى الأشرار لأن الليل الموحش قد أقبل مرة أخرى وقد جاءت كوفة من قديم الزمن؛

كربلاء... // يا مساحة المرارة وموشحة الحزن // وعرف الغمام العراقية //
وشبابة الفرات التي بحث ما شربت // وحارسة المصابيح التي اشتعلت بزيت مساريح
الجنة // رقي من حواشي الريح، واملئي الأباريق // ومدّي الوسادة الزينية // فلقد
أقبل الليل // ورجعت من كوفة الزمن القديم.. (العالمي، ١٤٢٢هـ: ٤٢)

في هذه الأبيات يستدعي الشاعر أرض "كربلاء" ويخاطبها ليعبّر من خلالها عن هذه
الحقيقة أن العالم قد خيم عليه الظلام بسبب ظلم الحكام وفسادهم وأن مدينة "كوفة" التي
تعرف بسبب قدرها وخيانتها قد رجعت فلا بد أن ينهض أحرار العالم ويجعلون الحسين عليه السلام
قدوة لمواجهة قوى الأشرار.

وفي موضع آخر يستدعي الشاعر شخصية الحسين عليه السلام برمزية البطل العظيم الذي
ضحى بنفسه من أجل إحياء الحقيقة والدين، وهو حامل الرسالة المقدسة وهو شهيد العقيدة؛
عندما يحمل الرجال رؤوسهم هم العالم ويصفو دمهم زيتاً للحقيقة // وتتوَّب
في سواعدهم جياذ المعارك العلوية // يمر في خاطري الحسين بن علي مقدساً في
رسالة // جنة في جسد، سدرّة في منتهى، شهيد عقيدة باعها بربه واشترأها
بدينها // وكانت نسبة أن تعيش هي غدا // من نسبة أن يموت هو اليوم // إنه
الومض المقدس.. (العالمي، ١٤٢٢هـ: ٤٤)

ويوظف الشاعر ثورة عاشوراء ليعبر من خلالها عن مدى أثرها في المجتمعات في العصر الراهن، المجتمعات التي تسيطر عليها مشاعر الخوف من الحاكم والسلطة، فإذا ثار الحسين عليه السلام ضد الفساد والطغيان والإستبداد، فإنّ هناك في العصر الراهن أيضاً قوى شرّ لا بدّ من مناهضته. إنّ ثورة الحسين عليه السلام التي قضت على الفساد والطغيان بإمكانها أن تطوي استبداد الحكام وتقضي على قرصنة الأرض في العصر الراهن أو لو تحدث هناك ثورة تشبه ثورة عاشوراء لقضت على ما يدور في الأمم من قتل ودمار؛

لَو دَخَلتْ عَاشُوراءُ يَدَ الْقَضَاءِ لِمَا اخْتَلَّ مِيزَانُ قَاضٍ // وَلَوْ هَبَّتْ عَلَيَّ خَفَقِ رَايَةٍ
لَمَّا أُذِلَّ وَطَنٌ... // وَلَوْ لَامَسَتْ وَسَادَةٌ حَاكِمِي، لَمَنَعْتُهُ مِنْ صِلْفِ النُّعَاسِ... // وَلَوْ
اسْتَوَّتْ عَلَيَّ سَرِيرِ خِلَافَةٍ، لَمَا عَرَفَ التَّارِيخُ قَرَاصِنَةَ الْأَرْضِ // وَلِصُوصِ الْأُمَمِ،
وَشَذَاذِ آفَاقِ الْمَمَالِكِ // وَالْمُشْعَبَذَةَ وَالطُّغَاةَ وَالسَّحَرَةَ // ثَلَاثُ وَسَبْعُونَ رَأْسًا، وَرَأْسُ
الْحُسَيْنِ طَلِيْعَتُهَا، مَنَارَةٌ خَلْفَهَا مَنَائِرُ (العالمي، ١٤٢٢هـ: ٤٥)

ومن خلال هذا الموقف يدين الشاعر تقاعس الأمة وسلبيتها الذميمة وجبنها حين تنتهك حرمانها، ويصبح أنبل ما فيها كلاً مستباحاً لقوى الفساد والطغيان.

النتائج

بإمكاننا أن نلخص نتائج البحث فيما يلي:

- قد تبين لنا من خلال هذا البحث أنّ استدعاء وتوظيف التراث ظاهرة جديدة قد أقبل إليها الشعراء من أجل إثراء النصوص الشعرية، ومعالجة معاناة العصر، ومنح تجربة شعرية جديدة تربط بين الحاضر والماضي.
- قد أقبل الشعراء إلى استدعاء شخصية الإمام الحسين عليه السلام بما تحمل هذه الشخصية من إحياءات ودلالات نفسية وحسية في إثراء النص الشعري وإثراء التجربة الشعرية، فمنهم الشعراء المسيحيين.
- لقد وجد الشاعر المسيحي المعاصر في توظيف شخصية الإمام الحسين عليه السلام الملاذ الآمن، والطاقة الكامنة ليعبر بها عما يعاني الشعب من الويل والإخفاق، وأن يدافع عن متطلبات الشعب في العصر الراهن. وقد أدرك الشاعر أنّه باستدعائه

- لشخصية الإمام الحسين عليه السلام بإمكانه أن يعبر عن خلجات نفسه ويعالج تجربته الشعرية بإدراك ووعي.
- قد وظّف الشاعر المسيحي المعاصر، شخصية الحسين عليه السلام بأبعادها المختلفة وقد أبدع في توظيف واستدعاء هذه الشخصية كرمز البطولة والحرية والاستشهاد.
- إنَّ الحسين عليه السلام في رؤية الشاعر المسيحي المعاصر ليس بطلاً تاريخياً بل يتحوّل إلى بطل تراجمي أسطوري يستدعيه الشاعر لمواجهة الإرهابات والمعاناة التي تعيشها الأمة العربية، وتتخذ شخصية الإمام عليه السلام منحى جديداً في الشعر المسيحي إذ نرى توظيف هذه الشخصية قد منح القصيدة قوّة في الأسلوب وجمالاً في الشكل والمعنى.
- يحتلّ الإمام الحسين عليه السلام مكانة عظيمة في شعر الشاعر ريمون قسيس حيث أنشد قصيدة طويلة في ذكر استشهاد الإمام عليه السلام وتناول هذه الشخصية بأبعادها المختلفة وأبدع في توظيفها.
- إنَّ الشاعر جوزيف الحرب قد صوّر مأساة الشعب اللبناني المعاصر من خلال استدعاء شخصية الإمام الحسين عليه السلام وبهذا قد جعل العلاقة بين مأساة كربلاء ومأساة ومعاناة وطنه، وقد منح نصّه الشعري أفقاً دلاليّاً جديداً.
- إنَّ الشاعر المسيحي المعاصر قد تفاعل مع شخصية الإمام الحسين عليه السلام وقد منحها دلالات معاصرة واستطاع أن يتكلّم عن هواجس نفسه وخلجاتها وآلامهم وآمالهم من خلال توظيف هذه الشخصية وقد كان لكلّ من هؤلاء الشعراء المسيحيين ك: جورج شكور، وجوزيف الهاشم، وجورج زكي الحاج، و... الحظ الأوفر في هذا المجال.

المصادر والمراجع

١. إبراهيم جبرا، جبرا (٢٠٠٠م). مجلّة النبأ، رقم ٤٤، بيروت، ص ٣٠.
٢. ابن منظور، محمد بن مكرم (١٩٩٩م). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
٣. أبو علي، نبيل (١٩٩٩م). «الفرق بين الأسطورة والخرافة والتاريخ»، مجلّة كلية الآداب، جامعة حلوان، العدد ٥، صص ٢٠١-٢٠٢.
٤. الجابري، محمد عابد (١٩٩١م). التراث والحداثة. ط ٢، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
٥. جبور، عبدالنور (١٩٧٩م). المعجم الأدبي. بيروت: دار العلم للملايين.
٦. الحاج، جورج زكي (٢٠٠٦م). قصيدة الحسين عليه السلام يا ابن الكرام. [دون ناشر].
٧. حكمت نيا، مريم؛ خاقاني، محمد (١٣٩٢ش). «حبّ الإمام علي عليه السلام في الأدب المسيحي المعاصر: لبنان نموذجاً». مجلّة اللغة العربية وآدابها، السنة ١٠، العدد ٢، الصيف، صص ٢١٥-٢٣٤.
٨. السلطان، محمد فؤاد (٢٠١٠). «الرموز التاريخية والدينية والأسطورية في شعر محمود درويش». مجلّة جامعة الأقصى، (سلسلة العلوم الإنسانية) المجلد ١٤، العدد ١، يناير، صص ١-٣٦.
٩. سياحي، صادق (١٣٨٢ش). الأدب الملتزم بحبّ آل البيت عليهم السلام. طهران: انتشارات سمت.
١٠. شكور، جورج (١٣٨٣ش). «لو كان للقلب الوي». رسالة التقريب، طهران، العدد ٤٦، دى ماه، صص ٢١٥-٢١٩.
١١. شبر، جواد (٢٠٠١م). أدب الطّف أو شعراء الحسين عليه السلام. بيروت: مؤسسة التاريخ.
١٢. شمس الدين، محمد مهدي (١٩٩٦م). واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي. ط ٢، بيروت: المؤسسة الدوليّة.
١٣. العاملي (١٤٢٢هـ). الانتصار مناظرات الشيعة في شبكات الانترنت المجلد التاسع دفاعاً عن مراسم عاشوراء وقداصة كربلاء والتربة الحسينية. بيروت: دار السيرة.
١٤. عباس، إحسان (١٩٧٨م). اتجاهات الشعر العربي. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

١٥. عشري زايد، علي (١٩٩٧م). استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر. القاهرة: دار الفكر العربي.
١٦. فائزي، فاطمة (٢٠١١م). «التراث الديني.. مفهومه ووظيفته في الشعر العربي المعاصر». موقع المثقف، العدد ١٧٦٦. <http://www.almothaqaf.com>.
١٧. القحطاني، عبد الجبار (دون تا). جدل التراث والعصر. بيروت: [دون نا].
١٨. قسيس، ريمون (٢٠١١م). ملحمة الحسين. بيروت: دار المحجة البيضاء.
١٩. نمر، موسى (٢٠٠٥م). «توظيف الشخصيات التاريخية في الشعر الفلسطيني المعاصر». مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد ٣٣، أكتوبر وديسمبر، ص١١٧.
٢٠. نور الدين، حسن (١٩٨٨م). عاشوراء في الأدب العاملي المعاصر. بيروت: الدار الإسلامية.
٢١. وتار، محمد رياض (٢٠٠٢م). توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة. دمشق: منشورات إتحاد الكتاب العرب.
٢٢. الهاشم، جوزيف (١٩٩٩م). علويات: قصائد من وحي الإمام. بيروت: [دون نا].